

مسابقة اللغة العربية

عمل غير مفهوم

لأستاذ صبر قطب

المفروض أن فكرة هذه المسابقة قائمة على غرض ترقية مستوى الأساتذة والطلبة ، واللغة العربية ذاتها . والمفروض كذلك أنها تقوى نواحي الضعف التي لمستها الوزارة عن طريق مفتشيها وسواهم في مدرسي اللغة العربية . فهل تحقق المسابقة على أساسها الحاضر - هذا الغرض الذي شرعت من أجله ؟ وإذا حققت جانباً منه ، فهل تحقق بقية الجوانب ، ومن أفضل طريق ، وأقصر طريق ؟ وإذا كانت لا تحقق هذا الغرض ، فما الطريق التي يجب أن تنحرف إليها لتحقيقه ؟

هذا هو موضوع مقال اليوم ، مجرداً عن جميع الاعتبارات الأخرى ، التي قد تكون كامنة وراء هذه المسابقة أو غير كامنة .

أستطيع أن أفهم أن هذه المسابقة لم تقرر ارتجالاً ، فالارتجال عمل لا يليق في تصرفات لا تختص بمربي الذئب ، وبجو أساتذة وتلاميذ ، وبمستقبل أمة ونفسية جيل .

فلا بد إذن أن تكون هناك أبحاث دقيقة ، واقتراحات كثيرة ، غربت هذه الاقتراحات ، حتى انتهت إلى فكرة المسابقة ، ثم نظر طويلاً في شكل هذه المسابقة ، ووزنت أغراضها ، ثم اختير لها هذا الشكل الأخير .

بمثل هذه الدقة وعلى هذا الأساس أحاول أن أبحث المسألة وفي الوقت
متسع للتبديل والتحسين .

أنا لا أميل إلى فكرة الترفع عن دخول المسابقات، وانتقاد المبدأ في ذاته،
وما أمسكنى عن التقدم إليها في الماضي أو التفكير في التقدم إليها مستقبلا مثل
هذه الفكرة، بل أنا أميل إلى أن تكون المسابقات هي الوسيلة الأولى لكل
تعيين وكل ترقية في جميع وظائف الدولة، حرصا على العدالة، وقطعا للشكائية
وحفزا للهمم وتجديدا للثقافة .

إنما أمسكنى ويمسك كثيرين من زملائي الممتازين في بيئتهم الخاصة وفي
الوسط العلمي والأدبي العام، أننا نرى المسابقة تؤدي بنا إلى غاية ليست جديدة
بالزمن الذي ينفق فيها، ولا ترتفع بمستوانا العقلي ولا المادى شيئا .

فهل صحيح أولا أن النقل من مرحلة التعليم الابتدائي إلى مرحلة التعليم
الثانوي ترقية تستدعي النجاح في مسابقة؟ وهل في هذا النقل ميزة أدبية
أو مادية؟

وهل صحيح ثانيا : أن مواد الاختبار في هذه المسابقة خليقة أن ترتقي
بمستوى المدرس، وتجعله جديرا بالترقية، إذا ثبت أن في النقل إلى الثانوي
رقيا؟ وجديرة بأن تعطينا المدرس الممتاز الذي نريده؟

فأما الجواب عن السؤال الأول فبالنفي قطعاً، وليس في الثانوي إلا العناء
والجد المضاعف الذي ليس له مقابل من المال . والمال عصب الحياة، ومذلل
الجهد، والعوض القريب عن الضنى الذي يعاينه المدرس المغبون .

أما المجد الأدبي في الثانوي فلن يهفو إليه إلا من لا يجد لهم في حياتهم
العادية، أى الذين لا امتياز لهم بين إخوانهم ولا بين الناس، وهؤلاء طبعاً
لن يرتقوا بالتعليم . أما الذين لهم شيء من المجد الأدبي والعلمي نتيجة لتفوقهم
فلن تهفو نفوسهم إلى هذا المجد الضئيل في الثانوي . وهم لهذا لا يتقدمون .

للمسابقة ، فيضيع غرض الوزارة من اختيار أصح العناصر لهذا التعليم .
وأما الجواب عن السؤال الثانى فيطلب نظرا أوسع وبحثا أوفى .
أول ما يجبه الناظر فى مواد هذه المسابقة أن الفكرة متجهة إلى اختبار
المدرسين فى معلوماتهم اللغوية وفى تاريخ آداب اللغة العربية . وما عدا هذا
فهو هوامش للمسابقة غير مقصودة . وإن ظن أنه روعى فى مسابقة
هذا العام .

وهذا التوجيه يكون مفهوما فى حالة واحدة ، وهى حالة وقوف الوزارة
عن طريق مفتشيها وسواهم على ضعف المدرسين فى مادتهم وعدم استطاعتهم
الإحاطة بالمعلومات التى كلفوا تدريسها لتلاميذهم .

ولتحقيق هذا الغرض أفهم أن توضع إحصائية عن خمس سنوات مثلا
من تقارير المفتشين ، فيثبت منها أن نحو ٥٠٪ من مجموعة المدرسين فى الثانوى
ضعاف المادة ناقصوا المعلومات المدرسية .

ولكننى أستطيع أن أعلم أن مثل هذا البحث لم يلتفت إليه ، وأعلم كذلك
أن ضعف المادة لم يكن مبعث شكوى أحدهم المفتشين إلا نادرا بين عشرات
المدرسين .

فإذا ثبت هذا فقد سقط الأساس الذى قامت عليه المسابقة فى وضعها .
وقد أفهم أن تكون هناك شكوى من عدم متابعة المدرسين للقراءة وعدم
وقوفهم على آخر الخطوات فى نظريات التربية والتعليم ، وفى الأدب والآراء
الأدبية ، وفى المعلومات العامة الحديثة المتناثرة حول الاجتماع والسياسة
والكشفوف ؛ التى تجعل من المدرس إنسانا حيا يعيش فى عصره .

كما أفهم أن تكون هناك شكوى من عقليات المدرسين — وفرق بين
المعلومات والعقلية العامة — نتيجة لإهمال الاطلاع ، أو لعدم النضوج ذهنى
والشخصى .

وسبيلنا إلى تقوية هذا الضعف وعلاجه ، وإلى اختيار أصلاح العقلية والشخصيات ، وأدومها للاطلاع والثقافة ، ليس هو السبيل الذي تختطه هذه المسابقة في وضعها الحاضر . إذ قصارى ما تعطينا : مدرس قرأ بضعة كتب ، وحصل بضع معلومات ، وكان من السهل علينا أن نجده في المتخرجين من دار العلوم إذا راجعنا درجاتهم في امتحان الدبلوم في المواد المختلفة .

والثمن الذي تؤديه لاختيار هذا المدرس بالمسابقة ثمن باهظ يعتبر إسرافاً وتضحية لا مقابل لها . فنحن سنكلف عدداً من المدرسين في القسم الابتدائي أن يزحموا وقتهم بالمطالعة المملة ، ويبذلوا جهودهم في المراجعة التافهة ، ويقصروا إلى حد قليل أو كثير - في واجبه لتلاميذهم ، ونهبط بمستوى الجهد الذي يبذلونه للتعليم الابتدائي . ثم لا نجني مقابل هذا كله إلا مدرسا من معدن رخيص ، كنا نستطيع أن نجده في كل مكان ، وبدون امتحان .



وحتى لا يؤخذ على أنني أهدم ولا أبنى ، فإنني أدل على الطريق الذي يضمن اختيار أنقى العناصر ، وأحسن العقلية ، وأكمل الشخصيات . فأقترح .

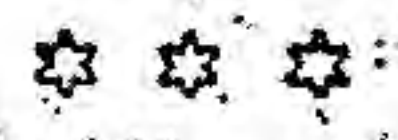
أولاً : أن يحذف من المسابقة كل ما يرمى إلى استعادة دراسة الكتب النحوية واللغوية وكتب دراسة تاريخ الأدب التي سبقت دراستها هي أو نظائرها في مدرسة دار العلوم ، لأن هذا عبث ضائع ، وجهد مكرور .

ثانياً : أن تضمن مواد الاختبار ما يكفل استدامة المدرس للاطلاع على الحركات الأدبية والعلمية والاجتماعية والدراسات النفسية في مصر خاصة والعالم عامة ، واختبار أثر هذا الاطلاع في عقلية العامة وفي تكوين الشخصية المثقفة .

ثالثاً : (وهو أهم ما يضمن لنا اختبار العقلية وثمرتها الشقاقة) أن تشتمل المسابقة على تقديم رسالة في فن من فنون اللغة العربية المختلفة ، يناقش فيها المدرس ، فتبين ثمرة اطلاعه ونوع عقليته ، واتجاهه الذهني . وعلى أساس هذا الاتجاه يمكن أن نختار له المواد التي يدرسها في المدارس الثانوية .

ولكن هذا الاقتراح لا يكون كاملاً ، ولا يكون هناك ما يغري الممتازين حقيقة من المدرسين بالإقدام عليه ، إلا إذا انتهى بهم إلى وضع أدبي ومادي خير من وضعهم الحالي . وهم كما قدمت لا يعتبرون النقل إلى التعليم الثانوي في ذاته ميزة تهفو إليها نفوسهم . بل أنا أعلم أن كثيراً منهم يعتبره غرماً على وقتهم وجهدهم ، واطلاعهم الحر الذي تألفه نفوسهم . وإن بعضهم ليرفض — لو استطاع — أن ينتقل إلى التعليم الثانوي حتى بدون مسابقة ولا اختبار ، نظراً لهذه الاعتبارات .

فتكملة لاقتراحى أرى أن تكون ثمرة قبول الرسالة منح صاحبها درجة علمية أرقى من دبلوم دارالعلوم ، تقابلها درجة مالية مقررة لهذه الدرجة العلمية في ذاتها ، بغض النظر عن نوع التعليم الذي يقوم به المدرس بعد ذلك ابتدائياً أو ثانوياً أو عالياً . وإن بعض الممتازين ليسم جدلاً بأن يمنح هذه الدرجة وتلك ثم يقوم بعمله في المدارس الأولية ورياض الأطفال ، فلا تعنيه هذه الشكليات الجوفاء . والذين ينظرون هذه النظرة هم الذين نستطيع الاعتماد عليهم في تحقيق مثانا العليا بين أوساط المعلمين .



وبعد ، فأحب أن أنظر إلى هذا المشروع من زاويتين أخريين . فأنا أفرض أن المسابقة على هذا الوضع أو ذاك قد حققت لنا معرفة أصح العناصر في أوساط المدرسين ، فهل من المصلحة أن نختار هذه العناصر

كلها للتعليم الثانوي ، وألا ندع المدارس الابتدائية إلا العاجزين عن اجتياز الاختبار .

وكيف تكون الحال في المدارس الابتدائية حين تحرم من كل عنصر صالح ، وحين يشعر المدرسون ونظارهم وتلاميذهم كذلك أن في هذه المدارس نهاية المدرسين العجزة ، وحين ينظر كل مدرس بالمدرسة الابتدائية إلى مدة وجوده بها نظرة المستعد لمبارحتها الذي لا يعول على إجادته عمله بها في ترقية أو تحسين حال ، لأن اعتماده كله على اجتياز المسابقة ؟

أهذه حالة تصلح معها الدراسة في المدارس الابتدائية ؟ وإذا لم تصلح هنا فكيف ينتظر لها الصلاح في المدارس الثانوية ، وهذه تبني على أساس من تلك ؟

هنا تبرز أهمية الاقتراح الذي أسلفته ، وهو ألا يكون الغرض من اجتياز المسابقة على النظام الذي أوضحته هو النقل إلى الثانوي ، بل ترقية مستوى المدرس علميا وماديا على أن يسند إليه عمل في أية مرحلة من مراحل التعليم . وأنا أفرض مرة أخرى أن المسابقة على هذا الوضع أو ذاك قد حققت لنا اختيار الأصلح ، فإذا يضمن لنا استمرار اطلاعه فيما بعد وقد وصل إلى الغاية التي يبتغيها ؟ .

هنا كذلك تبرز أهمية اقتراحي السابق عن طريق المسابقة لأنها لن تحقق لنا معلومات مخبوءة أو مفهومة ولكنها تحقق لنا شخصية مثقفة وعقلية ممتازة ، تحمل في ذاتها ضمان الدأب والمثابرة على الاطلاع حبا في المطالعة لا رغبة في تحقيق غاية قريبة .

ومع هذا فيجب تنظيم محاضرات عامة في أشهر الصيف يقوم بإلقائها كبار الالساتذة في مختلف نواحي النشاط الفكري ، يقف المدرسين على آخر

ما وصلت إليه الأفكار في العالم، ويكون للدأب على حضور هذه المحاضرات نصيب في تقدير المدرس والنظر إليه

بمثل هذا التفكير يصح أن تساس شئون منشئ الجيل، وبعد طول الروية والأناة، وحسن الاختيار والتوجيه، فالارتجال قد يصلح لكل شأن، إلا لشئون المدرسين.

سبحر قطب